

التفسير المختصر - سورة العصر (١٠٣) - الدرس (١-١) : تفسير السورة بكمالها - إعجاز القرآن - سرعة الضوء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٦-٠٧-١٩٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
اللهم لا علم لنا إلا ما علمنا إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تفسير سورة العصر .

أيها الإخوة الكرام ؛ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول :
سورة العصر لو تدبرها الناس لكفتهم .

أي لو لم يكن في القرآن الكريم كله إلا هذه السورة لكتت ، يقول الله عز وجل :
﴿وَالْعَصْرِ﴾

[سورة العصر الآية : ١]

الزمن :

العصر : هو الزَّمَنُ وَمُطْلَقُ الزَّمَنِ ، يُقْسِمُ الله عز وجل بِمُطْلَقِ الزَّمَنِ لماذا ؟!
لأنَّ الإنسان في الأصل زَمَنٌ ، إِنَّه بِضَعْفِ أَيَّامٍ كُلُّمَا انْقَضَى يَوْمًا انْقَضَى بَضْعُ مِنْهُ .
الزَّمَنُ الْبَعْدُ الرَّابِعُ لِلأَشْيَاءِ .

فالشيء طول وعرض وارتفاع ، فإذا تحرك شكل زمانا ، والزَّمَنُ بِالأساس مسافة .

سرعة الضوء :

وأدقُّ ما اطلعتُ عليه مؤخرًا أنَّ هذه النَّظَرِيَّةُ النَّسْبِيَّةُ " نَظَرِيَّةُ اِنْشْتاين " التي أقامت العالم وأقْعَدَتْ مُلْحَصَّهَا أَنَّ كُلَّ جَسْمٍ سار بِسُرْعَةِ الضَّوْءِ صار ضُوءاً ، والضوء يقطع بالثانية ثلاثة
ألف كيلومتر ، وحينما قال الله عز وجل :

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة السجدة الآية : ٥]

نَعْدُ التَّقْوِيمَ الْقَمَرِيَّ ، وَالْقَمَرُ يَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ دُورَةً كُلَّ شَهْرٍ ، فَإِذَا أَخَذْنَا الْمَسَافَةَ بَيْنَ مَرْكَزَ الْأَرْضِ وَمَرْكَزَ الْقَمَرِ ، فَهَذَا نِصْفُ قَطْرِ دَائِرَةِ سَيِّرِهِ ، فَمَنْ نِصْفُ مَحِيطِ الدَّائِرَةِ نَعْرِفُ مُحِيطَ الدَّائِرَةِ ، فَكَمْ يَقْطَعُ الْقَمَرُ فِي مَسِيرِهِ حَوْلَ الْأَرْضِ فِي أَلْفِ عَامٍ ؟ قَسِّمْ الْمَسَافَةَ الَّتِي يَقْطَعُهَا الْقَمَرُ فِي دَوْرَانِهِ حَوْلَ الْأَرْضِ فِي أَلْفِ عَامٍ ، قَسِّمْ هَذَا الرَّقْمُ عَلَى عَدْ ثَوَانِي الْيَوْمِ ، يَنْتُجُ سُرْعَةَ الضَّوْءِ بِالدِّلْقَةِ ، وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿تَرْجُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً﴾

[سورة المعارج الآية : ٤]

فِي هَاتِينَ الْآيَتَيْنِ أَصْلُ سُرْعَةِ الضَّوْءِ .

أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ سَارَ بِسُرْعَةِ الضَّوْءِ صَارَ ضَوْءًا .

كُلُّتُهُ صَفْرٌ ، وَحَجْمُهُ لَانْهَايِيٌّ .

إِذَا سَارَ الْجَسْمُ مَعَ الضَّوْءِ تَوَفَّ الزَّمَنُ .

إِذَا سَبَقَ الضَّوْءَ تَرَاجَعَ الزَّمَنُ .

إِذَا تَأَخَّرْنَا عَنِ الضَّوْءِ تَرَاهِي الزَّمَنُ .

من الخاسر ؟

قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآيات : ٢-١]

مُضِيُّ الزَّمَنِ يَسْتَهْلِكُهُ ، اُنْظُرْ إِلَى صُورَتِكَ قَبْلَ عَشْرِينَ عَامًا ، وَقَبْلَ ثَلَاثِينَ ، وَجَهَ مَشْدُودٌ وَشَعْرٌ كَثِيفٌ ، هَذَا فِعْلُ مَنْ ؟ هَذَا فِعْلُ الزَّمَنِ ، مَاذَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلُانِ فِيهِمَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، فَمُضِيُّ الزَّمَنِ وَحْدَهُ يَسْتَهْلِكُنَا ، وَنَحْنُ فِي خَسَارَةٍ مُحْقَقَةٍ ، قَالَ تَعَالَى

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآيات : ٢-١]

مُضِيُّ الزَّمَنِ وَحْدَهُ يَسْتَهْلِكُنَا ، وَاحِدٌ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتَّينَ سَنَةً ، يَنْعَدُ كَمْ مَرَّةً سَافَرَ ؟ وَكَمْ مَرَّةً اَنْعَزَمَ ؟ وَكَمْ مَرَّةً تَنَزَّهَ ؟ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ بِضُعْفِهِ أَيَّامٌ إِذَا انْقَضَى يَوْمٌ مِنْهُ اَنْقَضَى بَضْعٌ مِنْهُ ، وَهُنَاكَ حَالَةٌ وَاحِدَةٌ تَتَلَافَى فِيهَا الْخَسَارَةُ فَهَذَا الزَّمَنُ إِمَّا أَنْ تُتَفَقَّهَ إِنْفَاقًا اسْتِهْلَاكِيًّا ، وَإِمَّا أَنْ تُتَفَقَّهَ إِنْفَاقًا اسْتِثْمَارِيًّا فَإِنْفَاقُ الْاسْتِهْلَاكِيِّ أَنْ تَأْكُلُ وَتَشْرُبُ وَتَتَنَعَّمُ وَتَنَامُ وَتَكْسِبُ الْمَالَ ، وَتَتَنَعَّمُ فِي الْمَلَادَاتِ ، أَمَّا الإِنْفَاقُ الْاسْتِثْمَارِيُّ أَنْ تَؤْمِنُ وَأَنْ تَدْعُو وَأَنْ تَصْبِرُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

هذه أركان النّجاة ، من أراد أن لا يخسر فلا بد أن يؤمّن كُلّ ، ولا بوركَ لي طلوع شمس يوم لم أزدَد فيه من الله علماً ، ولا بوركَ لي طلوع شمس يوم لم أزدَد فيه من الله قرباً ، فأنت ينبغي أن تزداد قرباً وأن تزداد علماً لكي لا تخسر ، ومن لم يكن في زيادة فهو في خسارة ، والمعبون من تساوى يوماً ، فإذا مضى اليوم ، وقد تكون الغلة مليون من المبيعات ولم تزداد علماً بالله بهذه هي الخسارة ، فالله يُقسِّم في قوله تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآيات : ٢-١]

يُقسِّم الله لهذا المخلوق الذي هو من الزَّمَنِ أَنَّهُ في خسارة ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

أن تؤمّن هذه أحد أركان النّجاة ، وان تدعُوا إلى الله فرض عين ، وأن تصبر على الطاعة وعن الشّهوة وعن قضاء الله وقدره ، وهذه كلّها من أركان النّجاة .

فهذه السورة تكفي الإنسان ، والعاقل الذي يقول : كم بقي مني ؟ وليس كم مضى ؟ يَعْدُ بالتنازل ، فالذّي بقي في الأعم الأغلب أقلَّ مِمَّا ، ومن بلغ الأربعين دخل في أسواق الآخرة ، كمن يذهب لنزهة وفي يومه الأخير يجمع أغراضه ويعكس كلَّ حركاته ، ويُشترى هداياه ، وهذا شأن الناس جميعاً ، وكذا من دخل الأربعين دخل في أسواق الآخرة ، فإذا قال الإنسان : كم بقي لي ؟ هذا العُمر بعد الأربعين هو عُمر الطاعة والعبادة والإقبال والتلاوة وطلب العلم ، أت تُعدُّ للآخرة ، لكي لا يقول : يا ليتني قدّمتُ لحياتي ، ولكي لا يغضّ على يديه .

أيها الإخوة ؛ معنى خسْرٌ ؛ أنَّ الذي جمَعَته في الدنيا كُلُّها تخسره في ثانية واحدة ، وأهل الكفر يبلغون قمَّ المَجْد ، أما إذا ماتوا تركوا كُلُّ شيء ، أما أهل الإيمان إذا ماتوا أخذُوا معهم كُلُّ شيء ، ومن آثر دُنْيَا على آخرته خسرَها معاً ، ومن آثر آخرته على دُنْيَا ربحَها معاً ، وهذه السورة تقرؤونها جميعاً في الصلاة ، ولو تدبّرها الناس لكتفُهم ، فإن لم تدع إلى الله فأنت خاسر ، فالتوّاصي بالحق كي تتسع دوائره وتضيق دوائر الباطل ، أما إذا سكتنا كان الأمر على العكس .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

أنت حينما تستقيم على أمر الله وتدعوا إلى الله وتصبر على طاعته وعن شهواتك ، وعلى القضاء والقدر تُحقِّقُ الهدفَ من وجودك ، ولن تخسر أبداً .

أيها الإخوة ؛ أنت تقرؤون هذه السورة ، وعليكم بتدبّرها ، ومن تدبّرها سَعَ في الدنيا ، وسَعَ في الآخرة .

والحمد لله رب العالمين